الباب الخامس عشر

فيمن مُنِع من الدخول فاحتالَ وتسبّبَ إلى الوصول

- حيل وأسباب ملفقة :
- بنان يرهن خاتمه !
- بنان يكترى سُلَّماً !
- من حِيَل أشعب !
- طفيلى يحمل رسالة إلى العروس !
- طفيلى فى مرآة شاعر !
- طفيليان ينزلان على مائدة طفيلى !
- خبر طريف فى مثل هذا المعنى !
- رد بعض الطفيليين على من لامه !
- ردود مفحمة !!

الباب الخامس عشر

(فيمن منع من الدخول فاحتال وتسبب إلى الوصول)

بنان يرهن خاتَمه !

قال بعضهم : مرّ بنّان بعُرسٍ ، فأراد الدخول فلم يقدر ! ؛ فذهب إلى بقال ، فوضع خاتمه عنده على عشرة أقداحٍ .

وجاء إلى باب العُرس ، فقال :

يابواب ! افتح لى ؛ فقال له البوّاب :

ومن أنت ؟ قال : أراك لستَ تعرفنى !

قال : لا .

قال : أنا الذى بعثونى لأشترى لهم الأقداح ! ؛ ففتح له البواب ؛ فأكل وشرب مع القوم ، فلما فرغ أخذ الأقداحَ[1] ، وقال :

يابواب ! يريدون «**ناصحية**» ؛ فافتح لى حتى أردّ هذه !

فردها على البقال ، وأخذ خاتمه !

بنان يكترى «سُلَّماً» .

وجاء ــ أيضا ــ بنان إلى وليمة فأُغلِقَ البابُ دونه ، فاكترى[2] سُلّماً ، ووضعه على حائط الرّجُل ، وتَسَوّر ، فأشرف[3] على عِيالِ الرجل وبناته ! فقال له الرجل :

ياهذا ! أما تخافُ اللهَ !! رأيتَ أهلى وبناتى !

فقال له : ياشيخُ : ﴿**لقد علمتَ مالنا فى بناتِك من حَقٍّ وإنك لتعلَمُ ما نُريد**﴾[4] .

---

(١) الأقداح : جمع قَدَح : آنية تُروِى الرجلين ، أما العلاكية والناصحية فلعلها صنفان أو نوعان لأحدهما ميزة على الآخر .

(٢) اكترى : استأجر .

(٣) أشرف : أطلّ واطّلع .

(٤) وهو اقتباس جميل ، وإن كانت له إيحاءات تعيد إلى الذهن المشهد والمناسبة التى قيلت فيها الآية رقم ٧٩ من سورة هود ! .

قال : فضحك الرجل ، وقال له :

انزلْ فكُلْ ! فقال له بنان :

ياهذا لاتسىء الظَّنَّ بالمشايخ ، واستغفر الله مما كان !

وقد حُكى عن أشعب بن جُبير[1] صَاحِبِ المُلَح بالمدينةِ نحو هذه الحكاية !

والأصل فيه : ما حُكِيَ عن مُصْعَب الزُّبيريّ قال :

خرج سالم بن عبد الله مُتَنَزِّهاً إلى ناحيةٍ من نواحى المدينة وهو وحرمه وجواريه ، فبلغ «أشعبَ» الخبرُ ؛ فوافى الموضعَ الذى هم فيه ، فوجد البابَ مغلقاً فتسوّر الحائطَ فقال له سالم : وَيْلَكَ ياأشعب !! معى بناتى وحرمى !! فوجّه إليه سالم من الطعام ما أكل ، وحملَ إلى منزله[2] !

رسالة إلى العروس من أخيها !

وحكى محمد بن على الجلاب قال :

جاء طُفَيليّ إلى عُرسٍ ، فمُنِع من الدخول ، وكان يعرف أن أخا العَروسِ غائب ، فذهب وأخذ ورقة كاغد[3] ، وطواها وختمها ، وليس فى باطنها شىء[4] ، وجعل العنوان :

من الأخ إلى العـــــروس !

وجاء فقال : معى كتاب من أخى العروس إليها ! فأُذِن له ، فدخل ، ودفع إليهم الكتاب ، فقالوا :

ما رأينا مثل هذا العنوان !!

ليس عليه اسم أحد ؛ فقال :

وأعجبُ من هذا أنه ليس فى باطن الكتاب ، ولاحرف واحد ؛ لأنه كان مستعجلا ؛ فضحكوا منه ، وعرفوا أنه احتال لدخوله ، فقَبِلوه !

---

(١) ويضرب به المثل فى الطمع .

(٢) أى حملَ طعاماً بعد أن أكل إلى منزله ، كما هو شأن الطفيليين .

(٣) الكاغد : الورق الأبيض .

(٤) ليس بها كتابة .

نُوح ينوح على الباب !

وقيل لطُفيليّ : كيف تصنع إذا لم يتركوك تدخُلُ إلى عُرسٍ ؟

قال : أنوحُ على البابِ حتى يتطَيَّروا[1] منى ، فيدَعونى أدخل !

نسيتُ فردة حذائى فى الداخل !

وقال ابن عبد الله الكرخى : مُنِعَ طُفَيْلِيٌّ عن عُرْسٍ ، فذهب ؛ فأخذ إحدى نعليه فى كمه ، وعلق الأخرى بيده ، وأخذ « خِلالًا »[2] طويلا فقطعه ، وأخذ محلباً[3] من عطّار ، فلطخ به أصابعه ، وجعل يتخلل بذلك الخلال الطويل ، ودنا من البواب كالمستعجل ، فقال :

إنى أكلت فى الفوج الأول لشغل كان علىّ ، ولا ستعجالى أخذت فردةَ نعل ، ونسيت الأخرى ، فتفضّلْ بإخراجها لى !

فقال البوابُ : أنا مشغول . ادخل فاطلبه لنفسك ، فدخل ، فأكل ، وخرج[4] !

صورة يرسمها شاعر لبعض حيل الطفيليين :

وذكر بعض الرواة أن أبا العباس المبَرد أنشد للحمدونى فى طُفَيْلِيّ :

أراك الدّهْرَ تَطْرُق كُلّ عُرْسٍ ... كأمرِ اللهِ يطرقُ كل لَيْلـه
فإن غَلُظَ الحجابُ وكانَ صَعْباً ... ولم تَقْدِرْ هنـاك على دُخَيْلَـه[5]
أخذت لكى تُخاطبهَم خِلالاً ... وقُلتَ نسيتُ عندكُمُ نُعَيْلَهْ[6]
فتَلْتَهِمُ الخُـوان بما عليـه ... وتَبْدُرُهم إلى بيض البُقَيْلَـة[7]

(١) يتطيروا : يتشاءموا . ولا طِيَرَة فى الإسلام .

(٢) أعواد رفيعة يستعين بها الآكل على إخراج ما يتخلل أسنانه من طعام .

(٣) المِحْلَب : بفتح الميم شجر له ثمر يُجْعل فى الطِّيبِ . وكان من عادتهم استخدام الطيب لإزالة رائحة الطعام .

(٤) وربما بدت هذه الحيل ؛ بالنسبة إلى الحيل الأمريكية فى زماننا ساذجة ، لكنها على أى حالٍ مضحكة ، وتعطى ملامح عصرٍ مضى !

(٥) منفذ تدخل منه .

(٦) المراد : فردة نعل . وعبر عنها بمصغر « نعل » .

(٧) تبدرهم: تسبقهم، وبيض البُقَيْلَة. من عيون الأطعمة، ولا يستحسن المبادرة إليها ولعلها أشبه ما تكون بـ=

وتأكلُ أكْلَ مَيْسَرةٍ وأيضاً فلابد لعُرسِك من زُلَيْلَه
وأنتَ بفضل حِذْقِكَ ذاطُفَيْل وتلك بما تزل لها طُفَيْلة

إنى أُلاَع إلى السخن فأدخلنى !

وقال أبو عبيدة : أتينا رجلاً من بنى مخزوم ، وكان ينزل ضاحية بنى تميم فوافى دكين الراجز ، فقال للبواب : إنى ألاع[1] إلى السخن فأدخلنى !

فأبى البواب أن يدخله ، فوقف دكين على دكان وقد انصرف بعض القوم وأنشأ يقول :

انصرف الناس وقالوا عُرْسُ إذا قِصَاعُ كالأكف خمسُ
زلجلجات[2] قد جمعن مُلْس ففقئت عَيْنٌ وفاضت نفسُ

فقال له البواب : من أنت ، لا أحياك الله ؟!

فقال : أنا دكين الراجز فأدخله !

طفيليان يدخلان على طفيلىّ أقام وليمة

وقال ابن المقرى : عمل طفيلى وليمة فدخل عليه طفيليان فأصعدهما إلى غرفة له ، حتى أطعم من أراد ، ثم نزل بهما ، فقال لهما : لا أصغر الله ممشاكما ، فأخرجهما ، ولم يأكلا من الطعام شيئا .

من أخبار ابن درّاج الطفيلىّ !

وقد كان «لأبى سعيد بن دراج الطفيلىّ» فى هذا المعنى خبر طَريف !

والأصل فيه : ما حكى عن «أبى على المقدسى» أن «ابن دراج الطفيلى» كان من أهل «حران» وقدم بغداد فمر بباب قوم وعندهم «وليمة» ، فدخل ، فإذا صاحب

= «لُقْمة القاضى» . وإن كان بعض الشراح قال إنها من قبيل التصحيف وهى البيضة المقلية . كما فى حاشية لعيون الأخبار .

(١) ألاع : أتوقد حرصا عليه ، ويحترق فؤادى طلبا له .

(٢) زلجلجات : التى تحرك وتذهب وتجاء بها لا تقر فى موضع واحد .

الدار قد وضع سُلَّماً ، فكلما رأى إنساناً لا يعرفه قال :

اصعد يا أبى !!

قال ابن دراج ، فصعدت إلى غرفةٍ مفروشة حتى وافينا ثلاثة عشر طفيليًّا !!

ثم رُفع السُّلّم ، ووضعت الموائد ، فبقى أصحابى متحيرين ، ويقولون : ما مَرّ بنا مثل هذا !!

قال : قلت يا فِتيان ! أَيْش[1] صناعتكم ؟!

قالوا : طُفَيْلية !!

قلت : فأيش عندكم فى هذا الأمر الذى وقعنا فيه[2] ؟!

قالوا : ما عندنا فيه حيلة !!

قلت : فإن احتلت لكم حتى تأكلوا وتنزلوا تُقِرّون لى أنّى أعلمكم بالتطفيل ؟!!

قالوا : ومن أنت ــ أصلحك الله ــ ؟!

قال : أنا ابن دراج .

قالوا : أقررنا لك قبل أن تحتال لنا .

قال : فجئت إلى صاحب الدار ، فاطلعت عليه ، والناس يأكلون ، قال :

قلت : يا صاحب الدار ! فقال : مالك ؟!

قلت : أيُّما[3] أحب إليك ؟

تصعد إلينا بخُوان كبيرَ ، نأكل ، وننزل ، أو أرمى بنفسى ؛ فيخرج من دارك قتيلَ ، ويصير عرسك مأتماً ؟!!

قال : وجعلت أَجُرّ سراويلى[4] ، كأنى أريد أن أعدو وأرمى بنفسى[5] !!

قال : فجعل صاحب الدار يقول :

اصبر .. ويلك ! .. لا تفعل !

---

(١) أَيْش : كلمة منحوتة من (أى شئ ؟) بمعناه ، وقد تكلمت به العرب . المعجم الوسيط .

(٢) ما المخرج ؟ وما حِيَلكم التى تتجلى فيها مهارتكم فى التغلب على المواقف الحرجة ؟!

(٣) أى تكون استفهامية مثل : ﴿**أيكم زادته هذه إيماناً**﴾ ؟

(٤) سراويل : السراويل : ما يلبس لستر النصف الأسفل من جسم الإنسان .

(٥) راح يمثل أنه يتهيأ للجرى والعدو تمهيداً لإلقاء نفسه والرمى بها .

وجعل يعجلهم ويقول :

هذا مجنون ؛ فأَصْعِدوا إليه خوانا !!

فأكلنا ونزلنا !!

و «ابن دراج» هذا كان قديماً من الطفيليين ، وله فى التطفيل حكايات غريبة !

من حكايات ابن دراج :

وقال بعضهم : سمعت عيسى بن محمد بن أبى خالد يقول لابن دراج ــ وكان ابن دراج طويلا ــ :

من أى شيء طال رأسك ؟!

قال : من مزاحمة الأبواب !!

(أى : يعصرونه مع الحائط بالأبواب[1]) .

كم تساوى النادرة عند ابن دراج ؟

وقال ابن المقرى :

حدثنى أبو عبد الله بن الجهم ، أخبرنى يحيى الفراء

قال : كنت قاطعت «ابن دراج» الطفيلى على أن يُملى علىّ ثلاثين نادرةً بدرهم ، فكان إذا ذكر نادرة باردة لم أحسبها له !

فقال : إن أردت النّقاوَة عشرة بدرهم !

ردّ مُفْحِم !!

وقال بعضهم :

لِيَم[2] بعض الطفيلية على تطفيله فقال :

ما صُنِعَ الطعام إلا ليؤكل ..

وما وُضِعت الموائد إلا لتُبذل ..

وما وُجدت المنازل إلا لتُدخل ..

وما قدّمت هديّةً ؛ فأتوقّع رسولًا ..

(١) من شدة الزحام على الموائد .

(٢) ليم فعل ماضٍ مبنى للمجهول . أى لام أحدهم بعض الطفيليين .

وما أكره أن أكون ثقيلاً على من أراه بأكلى بخيلاً ؛ فأقتحم مجلساً ، وأتمكن مستأنساً ، وأنبسط إن رأيته عابساً . فآكل شهوتى برغمه !

وأعاود بعض الكِظّة لأغمه[1] !

لا أُنفِق درهماً ، ولا أتعبُ خادماً ، ولذلك قلت :

كُلَّ يومٍ أجولُ فى عَرْصَةِ المِصْـ ... ـرِ أَشَمُّ القتار شَمّ الذُّباب
فإذا مارأيتُ آثارَ عُرسٍ ... أوْ خِتانٍ أو دَعْوةِ الأصحابِ
لم أودّع ذوى التَّقَحُّم لاأرْ ... هَبُ سَبًّا أو لكزة البَوّاب
مستهيناً بمن هجمت عليه ... غير مستأذِنٍ ولا هياب
فترانى ألفّ ـ بالرغم منى ـ ... كلّ ماقدموه لفّ العُقابِ
ذاك أهْنَى من التكلّف والغُر ... مِ وغيظ البقّال والقصّاب

أبو العراقيب المدنى !

وقد حكى عن ابن داب أن هذه الأبيات لـ«أبى العراقيب المدنى» الطفيلى وأولها :

قُلْ لأهل التطفيل : إنى إمام ... لكم بين شيبكم والشباب

وذكر بعد هذا البيت أبياتاً عدة فيما سقنا إلا أن فى بعض الألفاظ اختلافاً ، وبعدها :

ماأبالى : حللت بالسادة القا ... دَةِ أم بالعُلوج والأعراب[2]
لاترانى أخيم من نَبْحة الكـ ... ـلْبِ ولا من سفاهةِ البوابِ[3]
يرهب النـاسُ مَن ثيابهم الشَـ ... ـقّ وهَمّى هناك شقُّ الثيابِ

طفيلىّ يعجب ممن يُديم النظر إليه !!

وقال سليمان المنقرىّ :

كنت فى دعوة لبعض أصحصابنا ، وفى القوم طفيلى ، فجعل بعض القوم ينظر إليه ،

(١) الكِظّة : بكسر الكاف وتشديد الظاء : البِطنة والامتلاء ؛ أى أننى أملأ بطنى فوق ما تتحمل ؛ لأغم البخيل الذى يكره وجودى على مائدته !

(٢) العُلوج : جمع عِلْج من كان غير عربى .

(٣) أخيم : أجبن وأخاف وأنكص على عقبى !

فقال له الطفيلى :

يا فتى ! سُبحان الله !!

ألم ينه النبى ﷺ : أن يُتْبعَ الرجلُ بصرَه لُقْمةَ أخيه ؟!

وعن أبى عمرو مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

«لا يُتْبِعَنَّ أحدُكُم بصرَهُ لقمةَ أخيه»[1]

طُفَيْلىّ يُفْحَم من عَرّضَ به !

وقال الجهضمى[2] : كان لى جار طفيلى ، وكان من أحسن الناس منظراً ، وأعذبهم منطقاً ، وأطيبهم رائحة ، وأجملهم لباساً .

وكان من شأنه أنّى إذا دعيتُ إلى وليمة يتبعنى ، فيكرمه الناسُ من أجلى ، ويظنون أنه صاحبٌ لى !

فاتفق يوماً أن جعفر بن القاسم الهاشمى أمير البصرة أراد أن يَخْتِنَ[3] بعض أولاده ؛ فقلت فى نفسى :

كأنى برسول الأمير قد جاء ، وكأنى بهذا الرجل قد تبعنى !!

والله لئن تبعنى لأفضحَنّه !

فبينا أنا كذلك ، إذ جاء رسول الأمير يدعونى ، فبادرت ، ولبست ثيابى ، وخرجت .

وإذا أنا بالطفيلىّ واقف على باب داره ، قد سبقنى بالتأهب ، فتقدمت ، وتبعنى !

فلما دخلنا دار الأمير ، وجلسنا مقدار ساعتين ، دعا بالطعام ؛ فحضرت الموائد ، وكان كل جماعة على مائدة ؛ لكثرة الناسِ ، فقُدِّمت إلى مائدة والطفيلى معى ، فلما مدّ يدَه وشرع فى تناول الطعام ، قلت : حدثنا درست بن زياد عن أبان

---

(١) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال (٤٠٨١٦) وعزاه إلى الحسن بن سفيان عن أبى عمر .

(٢) نصر بن على أبو عمر الجهضمى .

(٣) يُجرى لهم عملية الختان ، وهى سنة للبنين ، مكرمة للإناث . وهى مناسبة سعيدة لدى الأهل يحتفلون بها ويطعمون الطعام . فراح يتوقّع قدوم رسُول عليه ليدعوه وأخذ يفكر فى متابعة الطفيلى له مما قد يحرجه ويسىء إليه !

ابن طارق ، عن نافع ، عن ابن عمر ـــ رضى الله عنهما ـــ قال :

قال رسول الله ﷺ : «**من دخل دار قوم بغير إذنهم ، فأكل طعامهم دخلَ سارقاً وخرج مُغِيراً**»[1] .

فلما سمع ذلك قال :

أَنِفْتُ لك ـــ أبا عَمْرٍو ـــ من هذا الكلام ؛ فإنه ما من أحدٍ إلا وهو يظنّ أنك تُعَرّض[2] به دون صاحبه !

أَوَلاَ تستَحِى أن تتكلم بهذا الكلام على مائدة سيِّدٍ من أطعمَ الطعام ، وتبخلَ بطعام غيرك على مَن سِواك ؟! ثم لا تستحى أن تحدّث عن «درست بن زياد» (وهو ضعيف) .

عن «أبان بن طارق» . (وهو متروك الحديث) .

تحكم برفعه إلى النبى ﷺ والمسلمون على خلافه ؛ لأن حكم السارق القطع ، وحكم المغِير أن يُعَزّر ـــ على ما يراه الإمام ـــ وأين أنت من حديث حدّثناه «أبو عاصم النبيل» عن «ابن جريج» عن «أبى الزّبير» عن «جابر» قال : قال رسول الله ﷺ :

«**طعام الواحد يكفى الاثنين ، وطعام الاثنين يكفى الأربعة ، وطعام الأربعة يكفى الثمانية**»[3] .

[وهو إسناد صحيح ، ومتن صحيح]

قال نصر بن علىّ :

فأفحمنى ؛ فلم يحضرنى له جواب !!

فلما خرجنا من الموضع للانصراف ، فارقنى من جانب الطريق إلى الجانب الآخر ، بعد أن كان يمشى ورائى ، وسمعته يقول :

---

(١) انظر جمع الجوامع للسيوطى ص ٧٧٦ وعزاه لابن النجار من حديث عائشة .

(٢) تعنيه وتقصده وإن لم تصرح باسمه .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الأشربة : باب فضيلة المواساة فى الطعام القليل حديث (١٧٩) ، وابن ماجه فى سننه كتاب الأطعمة : باب طعام الواحد يكفى الأثنين حديث (٣٢٥٥) ، وأحمد فى مسنده (٤٠٧/٢) ، (١٠٣/٣ ، ٣١٥ ، ٣٨٢) .

ومـن ظـن ممـن يُلاقى الحـروب بأن لا يصُـاب فقد ظـن عجـزا

رد على مُعَاتب !!

وقال ابن المقرى :

عوتب «**بنان**» يوما ، وأنا أسمع فقيل له : يا بنّان ! ويْحَك ! كم يكون هذا الذى أنت فيه بسبب الأطعمة !!

تبْ إلى الله تعالى مما أنت فيه !!

قال : ـــ فديتكم ـــ من يَصْبر عن السّميدين :

الأبيض والأصفر ؟!

والجِدَاء الرُّضعّ ..

والفالوذج المعقود ..

والله ما يزهد فى هذا عاقل !

ولا يصبر عن هذا حُرّ !!

أيهما أحبّ إلى «بنان» ؟!

قال : وقيل لـ «بنان» ـــ وقد أكل كثيرا ـــ : حَسْبُك !!

فقال : إذا كان الأجل موقوتاً ؛ فلأن أموت شبعانَ ريَّان أحبُّ إلى من أن أموت جوعان !